مجلة العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكّمة

المجلد السادس عشر، ٢٠٢٤ م

معامل التأثير العربي: 3.46

ISSN (Print) : 2277-9914 e-ISSN (Online) : 2321-2756

قسم اللغة العربية، كلية الجامعة

تيروفانانتابورام، كيرالا، الهند

إيحائيّة البحر في الشعر السوري المعاصر

- د. غيداء حسن يونس

عضو هيئة تدريسيّة، اختصاص النّقد الأدبي الحديث، جامعة الأندلس الخاصّة للعلوم الطبية، سورية

ملخّص البحث :

استدعى الشعراء السوريون البحر، فاستخدامه في النّصّ الشّعريّ له أبعاد ودلالات إيحائيّة رمزيّة، فمن خلال الإيحاء الطّبيعي تبرز رؤية الشعراء تجاه الوجود. فيتكوّن هذا البحث من مقدّمة وخمسة مباحث وخاتمة تناولنا في المبحث الأول إيحائيّة الحزن والكآبة والضياع، وخصّصنا المبحث الثّاني لإيحائيّة الجمال والحب والغزل، وتضمّن المبحث الثّالث إيحائيّة الغربة والحنين، وانتقلنا إلى المبحث الرّابع بعنوان إيحائيّة القرب والأنس، وذكرنا في المبحث الخامس إيحائية الخوف والرهبة، ثم أنهينا دراستنا بخاتمة تلتها المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحيّة: الإيحائيّة، تيمة البحر، الشّعر السوري المعاصر

مقدّمة:

استخدم الشعراء السوريون إيحائيّة البحر، وعملوا على توظيفها، وعبَّروا من خلال الإيحاء عن تجاربهم وأفكارهم ومشاعرهم. آثرنا أن تكون دراستنا بعنوان "إيحائيّة البحر في الشعر السوري المعاصر ". نظراً للقيمة الفنيّة للإيحاء، ويعدّ ظاهرة من الظّواهر المهمّة التي تستحقّ البحث والدّراسة في الشعر السوري المعاصر، فأهميّة الإيحاء تكمن في الدّور الفاعل الذي يقوم به، وما يضفيه من جمال وسحر في خلق تساؤلات لانهائية تثير المتلقي، وتغني ذائقته الفنيّة. يهدف البحث إلى اكتشاف الإيحاءات في نصوص الشعراء السوريين، وبيان ترابطها، وانسجامها مع تجربتهم الشعرية، وبيان العلاقة بين الحالة الوجدانيّة التي يعيشها الشعراء، ولجوئهم إلى البحر. إنَّ منهج البحث في دراستنا هو المنهج الأسلوبيّ الذي يعدُّ من المناهج النّقديَّة الحديثة التي تنطلق أساساً من بيئة النَّص اللّغويّة، والبحث عن مكنوناته الجماليَّة، وما تتضمّنه من علاقات لغويَّة تتقاطع أحياناً، وتتوازى أحياناً أخرى، مشكِّلة بذلك شبكة من قيم التَّشابه والاختلاف التي تمثّل جوهر البناء الشِّعريّ، وهذا يتأتَّى إلينا من خلال التَّحليل والوصف، وللبحر رمزيّة خاصّة وهو من العناصر الطبيعيّة التي وردت بكثرة في المتون والإبداعات الشّعريّة السّوريّة المعاصرة، فقد تميّز استعمال الشّعراء لرمز البحر تبعاً للسّياقات المختلفة وكذلك تبعاً لرؤية الإنسان المتلقيّ.

وقد استشرف الشّعراء السّوريّون المعاصرون إيحائية البحر ودلالته، وجعلوه واحداً من السّمات الجماليّة التي يتّكئون عليها في مرموزات القصائد الشّعريّة التي أبدعوها. ومن إيحاءات البحر في الشعر السوري المعاصر:

أولاً : الحزن والكآبة والضياع

ففي قصيدة الشاعر توفيق أحمد نرى :

من أوّل الطّقس ابتدأنا
ربّما لنحدّد اللّغة الجديدة للفصول
ولكوخنا الخزفيّ نستدعي العواصف
إنّها اللّحظات تسرقنا لتجمعنا
متى تأتي أيا زمن الهطول
من مغرب الجيل الجميل
ومن رذاذ البحر
رحلتنا وصول ضائع في اللّاوصول (١)

يعبّر الشّاعر عن حسرته وألمه، ويصّور حالة اليأس والإحباط التي وصل إليها نتيجة عدم نجاحه في أنْ يجتمع بمن يحبّ، فيوظّف البحر للتّعبير عن حاله، فللبحر زمن خاصّ، هو من التّقلب والتّغيير وعدم الاستقرار. والشّاعر يتساءل عن زمن غيره، وحياة الشّاعر مضطربة. ومن اختصاص البحر أنْ يمارس مهنته القديمة: المدّ والجزر، والأخذ والردّ واللّعب بالمصائر والأقدار لتكون رحلة الشّاعر (وصول ضائع في اللّاوصول).

"ما من شاعر في الفترة المعاصرة إلا ويأخذ من موادّ الطّبيعة رموزه، ويتوحّدون مع مظاهرها، ويفرغون ما في نفوسهم من مشاهدها المختلفة"(٢)

حيث تعبّر عن ذلك الشاعرة ليندا إبراهيم:

ولدنا من القمح ..
آن اشتياقِ الحقول ندى الخصبِ
من ألم البائسين ..
عفاةً .. حفاةً .. عراة ..
بنا توق ليلٍ إلى الشّمسِ .. بحرٍ إلى الملحِ ..
شوقُ التّرابِ إلى جسد المتعبين .. (٣)

نلحظ في النص الشعري دلالة البحر الإيحائية بارتباطه مع الوجود الطبيعي والإنساني، فهو في حالة بؤس وكآبة وضياع نراه تائهاً لفقدانه عنصراً مكملاً لمعناه محقّقاً وجوده الطبيعي فهو يفتقد الملح ويشتاقه كاشتياق الحقول إلى الخصب والحياة التي تكمل غاية وجودها وكاشتياق التراب إلى المزارعين المجدين الذين يعملون ويكملون بعملهم معنى التراب وكاشتياق الليل إلى الشمس لتكتمل دورة الحياة ويستمر الوجود.

فللدّلالة الإيحائيّة "جانباً يكمن وراء السطح الجمالي الحسي الأولي لها، وهذا الجانب هو المعنى الذي أراد الشاعر نقله إليك ونقلك إليه، بما للألفاظ من قدرة إيحائية ودلالة معنوية مجازية ينتقل الذهن إليها عن طريق الربط المحكم القائم على اكتشاف العلاقات المناسبة بين الدلالتين الوصفية والمجازية، وعلى براعة الشاعر في تنسيق عناصر الصورة، لا بحسب ما لها من أبعاد في واقعها العياني المرصود، وإنما بحسب تناغم

١ أحمد، توفيق: الأعمال الشعرية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٠م، ص ٢١٤

٢ حمد، عرين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠١م، ص٦٧

٣ إبراهيم، ليندا: لسيدة الضوء، ط١، دار الينابيع، ٢٠١٨م، ص٢٢

عواطفه وذبذبات مشاعره وأحاسيسه وأفكاره وبهذا الجانب إذن شيء يفهم عبر السطح الجمالي الحسي الأولي للصورة، ويحس من خلالها بحيث يكون السطح الأولي (الصورة الأولى) بمثابة الجسر الموصل إليه"(١)

وتتنوّع دلالات وإيحاءات البحر في الشعر السوري المعاصر، ويحاول الشعراء السوريون أن يجعلوه صدىً لأحلامهم وآمالهم، وتعبيراً عن انفعالاتهم وآلامهم، ففي قصيدة الشّاعر إبراهيم ياسين:

غريب الوجه والعينين ...
عاري الرّوح ... حافي القلب والخطوات
أجيئك متعباً – يا شام – حتّى النّزف ...
تعول في دمي الأوطان ...
وهي تغور في بحرٍ من الظّلماتْ
وحيداً، مفرداً كالسّيف، لا يومي
لآلئ، نجمة سقطت على دربي
وليلي ... كلما آنست ليلاً عبقريّ الضّوء ...
تثقب قلبه الطّلقات (٢)

يوحي البحر بالحزن، وامتداد الظلم وألم الشّاعر لحال الأوطان وهي تغور في بحر من الظّلمات، فالشّاعر يعيش حالة الاغتراب والألم واليأس لما يعانيه وطنه، فكلما حاول أنْ يبصر النّور والأمل فيه ينطفئ النّور بسبب الدّمار والحرب على وطنه سوريّة.

إنّ إيحائية البحر عند الشاعر بسام حمودة للحزن والألم ممّا يعانيه في واقعه، وفيه خوف من الزمن، كما نرى في قصيدته:

من أنيني كيف أصحو؟
كلّما داويتُ جرحاً
شدّني للبوح جرح
لكأنّي قاربٌ .....
والبحر من حولي افترار الموت
عن وعدٍ دعاني
كي أساقيه ارتحالي
كيف لي أن أرتجي فيك انبعاثي؟
يا زمان الهتك إذ أدميتني
والشعارات التي خضّبتها
بالوهج في سفر المحال(٣)

---

١ عبد الحميد ناجي، مجيد: الصورة الشعرية، مجلة الأقلام، العدد٨، السنة٩، بغداد، ١٩٨٤م، ص٧٠

٢ ياسين، إبراهيم: في هيكل الليل، منشورات الهيئة العامّة السّورية للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق، ٢٠١٩م، ص٦٢

٣ حمودة، بسام: أناشيد لا كالغناء، ط١، دار عروة للطباعة، طرطوس، ٢٠١٢م، ص ١٠٦

إنّ بحر الشّاعر هنا هو بحر الحزن، والضّياع، والخيبة إنّ الدّفق الشّعوريّ في هذا النّص يرسم لنا مقدار التّلاحم بين الشّاعر والإيحاء الذي استخدمه، فالشّعور بالحزن والخيبة الدّائمة دفع الشّاعر إلى تفريغ شحناته الإنسانيّة، ودفقه الشّعوري في ذلك الإيحاء المتمثّل بالبحر؛ ليعبرّ عن خلجات نفسه وألمه وحزنه.

ثانياً : الجمال والغزل والحب

يوظّف الشّاعر توفيق أحمد إيحائية البحر في قوله:

أنا أنتظار هطولك النّاريّ
يشعل في جليدي النّار
والوجع النّبيل
أنا بانتظار البحر في عينيك
يأخذني إلى الغرق الطّويل (١)

من الواضح أنّ الشّاعر يهدف هنا بذكر (البحر) إلى حالة التّوحد مع الأنثى، وهذا ما يكسب القصيدة نفساً رقيقاً، فخفت صوت الشّاعر وعذب تواضع صوته احتراماً للحالة، هذا الرّبط والتّداخل ينسجم في سياق حالة توحّد الرّجل مع المرأة ووجودهما معاً، وأنْ يجعل الشّاعر هذا التّوحد مبرّراً للفعل المضارع (يأخذني إلى الغرق الطّويل) دليل على ارتباط المعنى في ذهنه مباشرة بالبحر، فكأنّه اقتران بديهيّ أنْ يقود الحديث عن المرأة إلى اللّجوء إلى البحر وليس سواه، فما عليه إلّا أنْ يرمي نفسه بالبحر متجرّداً من أيّ إحساس وكأنّه لا شيء، عندما يتحرّر من كل الظّروف والقيود، يجد الصّورة الأولى للتّوحّد، فالتّحرر من الذّات يقود في الاندماج في الأخرى.

استشرف الشاعر هيثم علي دلالات البحر في إيحاءات عالية المستوى، فيقول :

أنا لست موسى كي أشق البحر
أو ألقي عصايا ...
أنا من أَحَبَّ
ومات على ضفاف الشوقِ
من ظمأٍ ... ولم يترك وصايا
أنا إنْ أُحدّقُ فيكَ
أُبصرْ غير ما أبصرت
في وجه المرايا
وأراكَ آلاف العيون الناظراتِ
وإذْ أجيلُ الطرْفَ
لا ألقى سوايا (٢)

---

١ أحمد، توفيق: الأعمال الشعرية، ورد ذكره، ص ٢١٦

٢ علي، هيثم : للنبع الذي ... ما يزال، ط١، دار عروة للطباعة، طرطوس، ٢٠٠٩م، ص٣١

يخاطب الشاعر البحر ويطلب منه أن يرأف بحاله، فهو ليس نبياً ولا يملك المعجزات، فيشير إلى النبي موسى (ع) كليم الله، فيشعر بالشوق لمحبوبته، وإنّه متعطّش إلى الحب ولكنه وحيد يعاني ما يعانيه من مرارة البعد.

إنّ الاتّساع الذي هو سمة من سمات البحر، ينعكس في المرموز الشّعري؛ ليعبّر عن دلالات إيحائيّة من الجمال والأسرار، ويقول الشّاعر هيثم علي في قصيدة أخرى:

وكان البحر يسرق عمقه
من عمق عينيها
ويختلس الجمال البكر
من ملكوتها
ويعيد سيرته ...
ويخفق في فنون الاختلاس
كانت مقاييس الجمال صغيرةً
أفقية المعيار
وهي العميقة ... والعصيّة
في الجمال على القياس (١)

يوحي البحر إلى الجمال، من خلال إيحائه إلى عيني محبوبته العميقتين الجميلتين، وإلى الجمال الأزلي المترابط مع قدم البحر (الجمال البكر) مشيراً بقدمه إلى عمق الجمال وقداسته واستمراريته (ويعيد سيرته) فهو فوق الوصف إن أراد النظر والتحدث في ذلك، وفوق معايير القياس والجمال العادية.

ويستوحيه الشّاعر منذر عيسى حالماً، ومفعماً بالأمل والنّجوى والمكاشفة :

في هجرتي إليكِ
التي تشبه هجرة السّنونو للأماكن الدّافئة
سأستعين في رؤاي
لأنشد في جنانك
قصيدة ممزوجة في بحر عينيك الجميلتين
خمرا وسكر
واعلمي إنّني إنْ ما تأخرت قليلاً
فإنّ شوقي في الأسر يندي
وكلّ ما أرجوه منك صلاة لخطوي
كي لا أتعثّر
فمنك السّلام
وإليك يمّمت وجهي كي أستريح ... (٢)

---

١ علي، هيثم: للنبع الذي ... مايزال، ورد ذكره، ص (٢٤+٢٥)

٢ عيسى، منذر: لا توقظوها حالمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٧م، ص٩٦

إيحائية البحر عند الشّاعر منذر عيسى للغزل والتّغزل بمحبوبته، إنّ عينيّ محبوبته جميلتان آسرتان كالبحر، يظهر ذلك جلياً في الخطاب الغزلي مع محبوبته، فاقترن الغزل بالبحر دالاً بذلك إليها بأبسط دلالة إلى عمق ما عناه في حبها النقي (لأنشد في جنانك) وفي دلالة السنونو المهاجر إلى البحر الدافئ فيهاجر الشّاعر إلى محبوبته، فهي الملجأ والأمان والدّفء والحنان.

يقول توفيق أحمد :

شجرُ الكلامِ يفيضُ حتى لا أرى * شجراً سواه ولا أُحسُّ جبالا
متحلّقاً حولي الربيعُ سألتُهُ * فأجابَ حتى ما أعدتُ سؤالا
من قال : إنَّ الورد ليس مقدَّساً * وبصدرهِ أسرارُهُ، من قالا؟
البحرُ ليس هناكَ .. ثمةَ زورقٌ * من طيف أنثى يستبيحُ رمالا
البحرُ ليس هناك .. ثمةَ موجةٌ * كانت تؤذّنُ فاكتشفتُ بلالا
البحرُ ليس هناك .. ثمةَ عالَمٌ * أطلالُهُ لا تُشبهُ الأطلالا
ويخيطُ إبراهيمُ ثوبَ قصيدتي * فأُحسُّ أني صرتُ أحسنَ حالا
ويلفّني بعباءةٍ من مرمرٍ * فأرى كم الدنيا تفيضُ جمالا
لا لم أكن بل كنتُ حين أرادني * ورأيتُ سرَّ الحبّ فيَّ تعالى (١)

بنظرة لهذه القصيدة نلاحظ بوضوح دلالة البحر الإيحائية إلى الحب والعشق والجمال الرباني المقدّس من خلال ارتباط البحر في الكلام عن الطبيعة والربيع والورد، وتأكيد جمال البحر ملخّصاً جمال الوجود فيه حيث دلالة النفي (البحر ليس هناك) هي تأكيد ذلك العشق المتشخّص في الزورق والأنثى التي جال طيفها ولخّص كذلك جمال الوجود الرّباني في أصوات الموج وكأنّها تنطق (الله أكبر) كما كان يفعل المؤذّن بلال الحبشي وتكرّر تلخيص ذلك الجمال والحب في كل مشهد رآه الشاعر في البحر إلى أن فاض الحقل الدلالي من المدلول إلى الدال منعكساً منه إليه ودالاً عليه ومؤثراً فيه إلى الحد الذي جعل وجوده مرتبطاً بما دلّ عليه فتسامى ذلك الوجود والجمال والحب.

ثالثاً : الغربة والحنين

ويعبّر الشّاعر أسد الخضر عن إيحائية البحر في الغربة والحنين:

في الحلم متّسع لقلبي كلّما
فاضت أناه والمدى شفّاف
شقّت خباياها سفينة حلمه
وحنينه صوب المدى مجداف
ما آب من سفر ملح بالرّؤى
فالأفق بحر والرّؤى أصداف (٢)

١ أحمد، توفيق: الأعمال الشعرية، ورد ذكره، ص ٤٣٩

٢ الخضر، أسد: غريب أيّها الفرح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق, ٢٠١٦م، ص ٦١

إنّ البحر الذي يوحي إلى الغربة وعذابها، يمثّل أيضاً ذروة حنين الشّاعر للعودة إلى وطنه، إنّنا أمام صورة الاغتراب النّفسيّ التي جسّدها الشّاعر ونوازع الشّوق للعودة إلى الوطن، ويتابع :

دواتي البحر ساريتي اليراعُ
ودمعي الحبر رقرقةُ الوداعُ
على ريح شراعي في رحيل
ولا أدري متى يصل الشّراع (١)

لقد اتّكأ الشّاعر على الطّبيعة فاستمدّ من عناصرها مادّة شعره، وضمّن تلك العناصر التي جسّد فيها إيحائية الغربة والرّحيل، والحنين. "إنّ الخصائص القويَّة التي ترسِّخ النَّصّ، أو تجعله خالداً، تعود إلى ما يمتلكه من قيم متجدّدة أهمّها: الموقف الإنسانيّ، فهو يختزن عصارة التَّجربة الإبداعيَّة للإنسان ويصوغها رؤىً وطموحاً يقصد بها قارئاً، خلافاً للكلام العاديّ، ويبغي ديمومةً وتأثيراً وتغييراً، أو فيما يسمّى بالوظيفة، وإلى جانب هذا الموقف تأتي الإيحائيّة التي يثيرها النّصّ الأدبيّ في المتلقي، وذلك فيما يتوفَّر له من بنى، ورموز ودلالات، وسياقات وطاقات لغويَّة ونفسيَّة وغير ذلك"(٢)

رابعاً: الأنس والقرب

ولم يعد البحر مخيفاً، بل استلهموه رمزاً للأنس والرّفقة الطّيبة، حيث يرى الشاعر صقر عليشي :

جبت محيطات هائجة
وبحار
لم أخش أساطير لها
عن تنين
لم تستشعر لغتي الخوف
وما ارتعدت أي فرائص
للأشعار (٣)

لم يخش الشاعر صقر عليشي البحر فكانت رحلته آمنة. "وعندما نقول إن الشاعر قد استخدم كلمة "البحر" مثلاً، استخداماً رمزياً... فلا معنى لقولنا عندئذ أن البحر يرمز إلى الخوف أو الرهبة مثلاً، ما لم نتدبر هذا المعنى في السياق الشعري نفسه. فالبحر ليس رمزاً أبدياً ومطلقاً للخوف أو الرهبة، ولكنه يكون ذلك عندما يشحن الشاعر صورة البحر بمشاعر تستثير في نفس مشاعر الخوف والرهبة"(٤). كما يقول في قصيدة أخرى :

ما جئته إلاّ وأطلقَ لي نوارسَهُ
احتفالا
ما جئته إلا وألقى من يديه..

---

١ الخضر، أسد: وكان الحبر لباسهم، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٢٠م، ص١٧

٢ عيسى، محمّد : الإبداع والمبدع والنص الأدبي، مجلة جامعة البعث، مج٢١، ١٩٩٩م، ص٥٥

٣ عليشي، صقر: كتاب اللمحات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٢٣م، ص ٨

٤ إسماعيل، عز الدين : الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٣، دار العودة بيروت، ١٩٨١م، ص٢٠١

وخفّ عانقني ..ومالاَ
ما جئته إلا وهلّ إليَّ
وارتجلَ الجمالاَ
وتراه يجلس صامتاً
يتأملُ الأسرارَ في وجه المساءْ
وتراه أرهفَ ما يكونْ (١)

يوحي الشاعر بالبحر إلى القرب والأنس، هو الكامن بالأسرار والغموض والدرر التي يخبّئها بداخله فهو كنفس الإنسان القريبة منه، والعالمة بأحواله وأسراره.

إن "البحر نغمة مفضلة عرفها كثير من الشعراء والأدباء على مر العصور (...) وإن معظمهم منحه مساحة عريضة (...) وتراوح الدور الذي لعبه البحر في الأعمال الأدبية بين إيجاد رمز ذي دلالات معينة وإيحاءات عدة وبين خلق عالم بأكمله يحتوي كل المواقف والشخصيات والبناء الدرامي كله"(٢).

يعبّر الشاعر عبد الكريم الناعم عن البحر بقوله:

والتقينا /
البحر والغابة في صبح مطير عبرته قامة الحور /
وصلّى الشَّجر المسكون بالفرحة للماء /
وصلَّى العشب والزَّهر /
وأسراب العصافير /
وضجَّت لغة الغابة /
كانت فرحة يعرفها الرّبان... (٣)

في هذه القصيدة أنسن الشاعر عناصر الطبيعة، (التقينا البحر والغابة)، (عبرته قامة الحور)، (صلّى الشجر المسكون بالفرحة، (وصلّى العشب والزهر وأسراب العصافير)، (ضجّت لغة الغابة)، في كل ذلك دلالة واضحة على تآلف البحر مع عناصر الطبيعة وانسجامه معها وكأنها في مكان واحد تتكلّم وتحسّ وتفرح في حقل دلالي متكامل من الصّمت إلى الحركة.

ويتدفّق البحر في مدّه وجزره طاغياً في موجه وهادئاً في سكونه، محيلاً الأحلام إلى وجود سرمديّ أبدي لا ينتهي، وتلمح الشّاعرة ليندا إبراهيم تلك الرّؤية البحريّة الشفافة في إيحائيّتها:

البحر..
منشغل بغبطة موجه الأبدي
بالقرع الشهي
على مذابح

---

١ عليشي، صقر : الأعمال الشعرية، ط١, دار الينابيع، ٢٠٠٨م، ص ١٢١

٢ راغب، نبيل : موسوعة الفكر الأدبي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د.ط، ج٢، ١٩٩٨م، ص ٣١

٣ الناعم، عبد الكريم : مكابدات ابن زريق الحمصي، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ٨٩

صدره العريان
والقمر الكفيف
يحيك أثواب الزبد
لا لم يَجُل أبداً
بخاطر حفنة العشاق
فوق رصيفه الملتاع
أن تصغي
لزنبقة الشتاء
لقلب أنثى
موحشٍ
حتى الأبد (١)

لقد أنسنت الشاعرة ليندا إبراهيم البحر، وجعلته في تآلف وانسجام مع القمر فجسدت بذلك ثنائية العشق واللهفة بين العاشقين والحب النقي الطاهر بينهم، فالبحر صدره عريان لكن القمر يحيك ثوباً له رغم أنّه كفيف. و"ينبغي أنْ ندرك بوضوح أنّ استخدام الرّمز في السّياق الشّعريّ يضفي عليه طابعاً شعريّاً بمعنى أنّه يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النّفسيّة، وفي هذا الضّوء ينبغي فهم الرّمز في السّياق الشّعريّ أي في ضوء العمليّة الشّعوريّة التي تتخذ الرّمز أداة وواجهة لها"(٢)

خامساً : الخوف والرّهبة والغموض

شحن الشّاعر نزار بريك هنيدي السّياق بشحنة شعورية، استطاعت أنْ تجعل من البحر في النّص دلالة وظيفيّة، تشير إلى الخوف والرّهبة:

في هذا الزّمن الرّغويّ ؟
وليس أمامك غير البحر،
وليس وراءك غير البحر،
وليس سوى
أشلاء جحافلك الورقيّة
تفترس الميدان (٣)

يكرّر الشاعر كلمة البحر مرّتين، وهذا يدلّ على تأكيد دلالته في النّص، فيشعر بالخوف من الزّمن.

يتّخذ الشّعراء ألفاظهم من الطّبيعة؛ لتوحيد الذّات بالعالم، والتعبير عن دلالات وتجارب متنوّعة فيكون باستنباطهم لطاقات هذا الرّمز، وشحنه بحمولات شعوريّة، وفكريّة جديدة محاولين الالتحام والتفاعل معه، كما لدى محي الدين محمّد:

---

١ إبراهيم، ليندا : لدمشق هذا الياسمين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٣م، ص (٩٤+٩٥+٩٦)

٢ حمود، محمد العبد : الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها، الدار العالمية للطباعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر, ١٩٩٦م، ص ١٢٨

٣ بريك هنيدي، نزار : الأعمال الشعرية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق, ٢٠١٥م، ص٤٢٢

من أخبر الأبراجَ
على هجعةٍ
فوق السرير
العتم في زمن الإبحار
عاد يتيماً
من سنين
والبحر أعمى
إذا ضج السفين
لست الذي يشتكي
أو ينحني..
إذ تدور الأرضُ
واقفة عند المقيل (١)

إنّ إيحائيّة البحر عند الشاعر للخوف والرهبة (العتم في زمن الإبحار)، وحالة من الاغتراب النفسي بفقدان السند والملجأ (عاد يتيماً)، وتبرز إيحائيّة الغموض إضافة إلى الخوف من المجهول عندما شخّص البحر وجعله أعمى.

الخاتمة

إنّ للبحر أثراً بارزاً في الشعر السوري المعاصر؛ فلجأ إليه الشعراء، لما له من أبعاد ودلالات إيحائيّة رمزيّة، فالطّبيعة تستمدّ قيمتها من تعامل الإنسان معها، وتمثلّ الملاذ الآمن للشعراء وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم، فللبحر إيحائيته في الحزن والكآبة والضياع والجمال والحب والغزل والغربة والحنين وفي القرب والأنس والخوف والرهبة. لقد لوّن الشعراء السوريون مشاهد قصائدهم بإيحاءات البحر، وغمروها بأحاسيسهم، ومشاعرهم الوجدانية؛ لتخلق صوراً جميلة سابحة في خيال المعاني وإيحاء الدلالة.

المصادروالمراجع

١. إبراهيم، ليندا : لدمشق هذا الياسمين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٣م
٢. إبراهيم، ليندا : لسيدة الضوء، ط١، دار الينابيع، ٢٠١٨م
٣. أحمد، توفيق: الأعمال الشعرية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠١٠م
٤. إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة بيروت, ١٩٨١م
٥. بريك هنيدي، نزار : الأعمال الشعرية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٥م
٦. حمد، عرين : الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠١م
٧. حمود، محمد العبد: الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها، الدار العالمية، مصر، ١٩٩٦م
٨. حمودة، بسام: أناشيد لا كالغناء، ط١، دار عروة للطباعة، طرطوس، ٢٠١٢م
٩. الخضر، أسد: وكان الحبر لباسهم، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٢٠م

١ محمد، محي الدين : قاتل الظن اسمي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٢٠م، ص (٧٠+٧١)

١٠. الخضر، أسد: غريب أيّها الفرح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٦م
١١. راغب، نبيل : موسوعة الفكر الأدبي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د.ط، ج٢، ١٩٩٨م
١٢. عبد الحميد ناجي، مجيد : الصورة الشعرية، مجلة الأقلام، العدد٨،، السنة٩، بغداد، ١٩٨٤م
13. علي، هيثم : للنبع الذي ... مايزال، ط١، دار عروة للطباعة، طرطوس، ٢٠٠٩م
١٤. عليشي، صقر : الأعمال الشعرية، ط١، دار الينابيع، ٢٠٠٨م
١٥. عليشي، صقر: كتاب اللمحات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٢٣م
١٦. عيسى، محمّد : الإبداع والمبدع والنص الأدبي، مجلة جامعة البعث، مج ٢١، ١٩٩٩م
١٧. عيسى، منذر : لا توقظوها حالمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٧م
١٨. محمد، محي الدين : قاتل الظن اسمي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٢٠م
١٩. الناعم، عبد الكريم : مكابدات ابن زريق الحمصي، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤م
٢٠. ياسين، إبراهيم: في هيكل الليل، منشورات الهيئة العامّة السّورية للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق، ٢٠١٩م